(موت حياة)

"امرأة تلقى بنفسها من فوق برج القاهرة"

كان ذلك هو العنوان الرائج على جميع مواقع التواصل الإجتماعى، مرفق معه مقطع فيديو قصير جداً، لا تتعدى مدته الستين ثانية، وهو بث مباشر للمراة قبل انتحارها بـ لحظات، تظهر فيه بـ وجه شاحب ارهقته الحياة، وقد وصل من النُحول إلى حد بروز العظام، ويبدو الحزن بـ وضوح على كل قسماته، وعينين زابلتين ذات حدقتى زرقاوتان، تحيط بهما هالات سوداء، وشفتين رمادية اللون، بصوت متهدج حزين، قالت:

_ لقد سئمت هذة الحياة، إنها مملة إلى أبعد الحدود، ليس لدى شئ يجعلنى اتمسك بالعيش فى هذا العالم البشع، لقد فطنت الأن إلى السبب الذى جعل مارلين مونرو تختار الرحيل بكامل إرادتها، لقد أدركت كل حرف خطه هؤلاء المساكين، الراحلين بإرادتهم داخل الرسائل التى تركوها قبل مغادرة العالم، الذين تدعوهم انتم بـ (المنتحرين)، وهى لفظة تعنى قتل النفس بواسطة صاحبها، لكن اسمحوا لى أن أخبركم أن الحياة والأشخاص السيئين هم من قتلوهم أولاً، رجاءا لا تتحاملوا عليهم من فضلكم، لقد كانت أرواحهم أكثر هشاشة وأضعف قوة من مواجهة قسوة الدنيا وسكانها، انظروا إلي.

قالتها وهى تشير إلى وجهها البائس، ثم أزالت حجابها، فـ تعرت رأسها التى بدت صلعاء تماماً، لا شعرة فيها، ثم أسترسلت قائلة:

_ لا تتعجبوا، لقد كنت من قبل ذات جمال صارخ، والجمال كان لعنتى، لكن القبح الذين تروه الأن، ما هو إلا انا من الداخل، ولأننى على ثقة تامة من انكم_بعد قليل_سوف يدفعكم الفضول الكامن داخل أنفسكم البشرية، الى البحث عن هويتى لإكتشاف قصتى، ومعرفة ما أدى إلى حالتى هذة، وما سينتهى به أمرى الأن، لقد دونت حكايتى كاملة، وأرسلتها إلى كاتبى المفضل، الذى لا يعرفنى ولم يلتقى بى يوماً، أرجو أن يسامحنى لاننى اخترته هو بالذات لألقى عليه عبأ مثل هذا، ولا اظن أن هدفى من ذلك هو التفاخر أو الشهرة، لست حمقاء إلى هذا الحد، ولن يفيدنى ذلك على كل حال، فقط ما دفعنى إلى القيام بذلك، هو تقديم النصيحة والعبرة التى هى أنا، ولا أبالى بما سيقال_فـ البشر دوماً يعشقون الثرثرة وممارسة الألوهية على الآخرين، إنها ليست الطريقة الصحيحة على كل حال، ولا اتمنى أن يفعل أحدكم مثلى يوماً.

ثم اغرورقت عينيها بالدموع، وأبتسمت رغم ذلك، وهى تلقى بـ كلمتها الأخيرة، قالت:

_ وداعاً.

وفجأة اهتزت الصورة، حتى استقرت ولم تعد الفتاة بداخلها، بل صارت تنقل مشهد السماء البيضاء وقرص الشمس الذهبى، ودوت صرخة اهتز لها قلوب المشاهدين.

.....

مدينة السلوم

محافظة مرسى مطروح

العاشرة صباحاً

فى إحدى الشواطئ الفارغة من البشر، كان صديقنا ابراهيم الراوى الكاتب المعروف، منعزلا كعادته حين يعكف على كتابة عمل جديد، يجلس وحيداً فى هذا المنزل الصغير، الذى يقع وسط مساحة شاسعة من الرمال، ويطل على البحر مباشرة، وكان رجلاً خمسينى، متوسط الطول والحجم، اصلع عند منتصف الرأس، ذو شارب كث، وعينان واسعتين تتوارى خلف عوينات طبيه مستديرة الشكل، أثناء تناوله وجبة الإفطار، قام بتفحص صندوق بريده الإلكترونى، عبر هاتفه المحمول، علّه يجد شيئاً ما يستطيع أن يضيف إلى العمل الذى بين يديه، وكانت الإشارة ضعيفة كما يرغب دوماً، حتى لا يزعجه أى شخص، انتقل بـ نظره من عنوان الى اخر، وكانت معظم الرسائل تحمل نفس اللقب (دار) السابق لعدة أسماء مختلفة، وجميعها تتسابق لإغراءه بتقديم عروض مميزة، ثم بعض الإيميلات الواردة من عدة مواقع إخبارية متنوعه، لمح بـ نظرة سريعاً العناوين المثيرة والجمل الرنانة، التى تعتمد عليها الجرائد والمجلات لـ جذب القراء، مثل(إنتحار امرأة، برج القاهرة القاتل، رسائل ما قبل الانتحار.....الخ)، تجاهلها جميعاً حتى وقعت عينه على تلك الرسالة، التى تحمل عنوان (رسالة شخص ميت)، نظر إلى اسم المرسل وجده لأنثى تدعى (حياة)، انعقد حاجبيه مندهشاً، ثم اشعل غليونه و قال:

_ إنه عنوان رائع، لكنه لا يخلو من مسحة مرعبة، لكن إذا كان العنوان هكذا، كيف سيكون محتوى الرسالة؟

ثم فتح الرسالة، بدافع من الفضول، وأغلق الاتصال بالانترنت، ثم عبث فى شاربه، وهو يجلس فوق الكرسى الهزاز، الذى يتأرجح مثل بندول مع اختلاف الاتجاه، بدأ يقرأ بـ صوت مسموع

عزيزى الكاتب أ/ ابراهيم الراوى

تحية طيبة وبعد...

ربما أننا لم نلتقى من قبل، لكننى اعرفك جيداً رغم ذلك، وقد حدثت هذة المعرفة عن طريق كتاباتك العظيمة، التى تتميز بالصدق دوناً عن غيرها، لقد كانت كلماتك تؤنسنى فى وحدتى، تعبر عن أشياء فى أعمق اعماق ذاتى، تشاركنى فى تفكيرى وقراراتى، تلامس مشاعرى بـ لطف، لقد استطعت أن اكتشف الأجزاء القليلة جداً، التى تعبر عن ذاتك بـ شكل غير مباشر، نظرا لانك تكسوها من كل اتجاه حتى لا ترى، لكننى استطعت أن اميزها رغم ذلك، انت شخص فنان ومرهف الحس، حكيم مثل أرسطو، نبيل مثل المهاتما غاندى، متمرد ومشاكس مثل جيفارا، حالم مثل باولو كويلو، انت كاتبى المفضل على كل حال، والأن دعنى اشرح لك سبب رسالتى، والهدف منها، تقبل اعتذارى يا سيدى قبل كل شئ، على هذا الحمل الذى اخترتك انت بالذات، لكى ألقيه فوق عاتقك، إنه إرث لكنه ليس مالا على كل حال، إنه شئ نفيس وتفوق قيمته النقود، لقد قررت أن أضع مشاعرى بين يديك، اقصد قصتى ومعاناتى فى الحياة، وقد اتخذت هذا القرار بعدما توصلت إلى الحل النهائى لـ وقف هذة المأساة، اتمنى أن أكون وفقت فى اختيار عنوان يحظى بإهتمامك، وإذا كنت تقرأ كلماتى الأن، ثق أننى غادرت هذا العالم البغيض، وأننى انتمى الأن الى العالم الآخر، لذلك أتوسل اليك أن تقوم بما سأخبرك به من فضلك، وبما أننى رحلت عن الدنيا، فـ يمكنك إعتبار كلماتى هذة وصية يجب العمل بها، فى هذا الوقت الذى تقرأ فيه رسالتى، ربما سكان بلدنا الحبيب يتشوقون إلى قراءة حرف من ذلك، ولن أبالغ إذا قلت لك أن جزء كبير من سكان العالم، يمزقهم الفضول تمزيقاً ويتحرقون شوقاً إلى معرفة قصتى، اريدك أن تمرر لهم ما سوف تعلمه بعد قليل، لكنى أعطيك الحق فى اختيار الطريقة المناسبة بالنسبة لك، التى ستنقل لهم عبرها ما ستعرفه عنى، ربما تفهم ما اقصده الأن، وربما لم تعلم بعد، لكنك ستفطن إلى معانى كلماتى لاحقاً، وحتى لا أطيل عليك لقد ارفقت ملف فى نفس هذة الرسالة، قمت من خلاله بـ سرد كل شئ.

قارئتك المخلصة لك

.....

مدينة الإسكندرية

الثامنة مساءً

.....

كانت وفاء عائده من عملها بصحبة صديقتها المقربة رنا، وكن يسيرن فوق الممشى الموازى لـ مياه البحر، وكن يبدو لمن ينظر اليهن من بعيد على هيئة الرقم عشرة، تلك الفتاة وفاء فارعة الطول مثل لاعب سلة، أما عن البائسه رنا فـ كانت قصيرة القامة جدا مقارنة بـ صديقتها، كانت وفاء شاردة الذهن بـ شكل ملحوظ، حين شعرت رنا بذلك ربتت على كتفها، وقالت:

_ ماذا بكِ يا صديقتى الجميلة؟

انحنت وفاء بـ رأسها قليلاً، ثم نظرت إليها ولم تجيب، بل عادت تنظر إلى انعكاس ضوء القمر فوق صفحة المياة، تسائلت رنا من جديد قائلة:

_ هل ازعجك ما تردد على لسان أصحابنا فى العمل اليوم؟

اومأت برأسها إيجاباً، ثم بنبرة حزينه، قالت:

_ لقد انزعجت فى البداية، من هؤلاء الحمقى الذين ظلوا يصيحون طوال اليوم، أن المرأة التى انتحرت فى الصباح تشبهنى كثيراً، لكن فيما بعد عندما أمعنت النظر إلى وجهها، من خلال الصور التى تبدو فيها بـ صحة جيدة، وجدت أنهم محقين فعلاً.

عقدت رنا حاجبيها العريضين، وبدت ملامحها مضحكة إلى حد كبير، وهى تعلق قائلة:

_ سوف أُجَن عن قريب، بسبب هذة الجمجمة.

وأشارت إلى رأس وفاء، واسترسلت:

_ التى اريد أن أهشمها، لأرى ما يدور بداخلها.

أبتسمت وفاء بـ جانب فيها، وظلت تتظاهر بالإنصات إلى رنا، التى تعشق الثرثرة كـ معظم الفتيات، لكنها كانت غارقه فى عالم أخر.

بعد قليل وصلت وفاء، فى الطابق الثانى لإحدى البيوت الآيلة للسقوط

_ مساء الخير.

قالتها وهى تسعل بقوة_خلال عبورها باب الشقة المفتوح، والذى يتسرب خلاله سُحب كثيفة من الدخان، بنبرة ساخرة وصوت متحشرج، تحدث ابيها قائلاً:

_ خير!، هع، ومن أين يأتي الخير؟

نظرت إليه ولم تعلق، كان رجلاً نحيف إلى حد بعيد، اسمر اللون، ذو انف معكوف، وكان يدخن عبر النارجيلة، حين تسائل:

_ هل استلمتِ أجر هذا الأسبوع؟

بوجه ممتعض اجابت:

_ بالطبع لا، لم ينتهى الأسبوع بعد.

حين سمع ذلك بدأ يدندن بإحدى الأغنيات القديمة

_ يرحم زمان وليالى زمان.

رمقته وفاء بنظرة ذات معنى، ثم ذهبت إلى غرفتها، لم تمر ثانيتين على ولوجها الغرفة، ودوت صرختها فى أرجاء الشقة الصغيرة، فُزع هذا المدعو والدها، وانتفض جسده من الخوف، حتى أن الأرجيلة سقطت أرضاً لكن زجاجها لم يتحطم بعد، خرجت وفاء من الغرفة_وهى تصيح فى وجهه متسائلة:

_ من هذة المرأة الراقده فى غرفتى وفوق فراشى؟

توتر الرجل وقفز من مجلسه، وركض تجاه باب الشقة أغلقه، و وضع سبابته فوق شفتيه الباهتة من أثر المخدرات، وهو يقول:

_ هششششششش، اخفضِ مستوى صوتك يا بنت الكلب، ستجلبى لنا الفضائح.

صاحت فى وجه بـ نبرة حادة:

_ اجبنى فوراً، من تكون هذة العاهرة؟

امسك النارجيلة وبدأ يضع الفحم فوقها، حتى لا تلتقى اعينهما وهو يجيب بـ هدوء مصطنع، وأداء تمثيلى ممتاز، قال:

_ إنها خالتك أم مدحت، جارتنا فى الطابق الخامس.

نظرت إليه فى اشمئزاز، وبسخرية واضحة قالت:

_ وهل الرياح حملتها من الطابق الخامس الى غرفتى؟

عاد ينفث الدخان من جديد، وخلال ذلك أجاب:

_ لقد سقطت مغشياً عليها أمام شقتنا، فـ قمت بـ حملها إلى غرفتك، حتى تستريح قليلا وتستعيد وعيها من جديد، إنه حق الجيره كما تعلمين.

استشاطت غيظاً، فـ ضغطت بقوة_فوق شفتيها السفلى_بواسطة أسنانها، سال خيط رفيع من الدم على جانبى فمها، لمح الرجل ذلك فقال معلقاً:

_ لقد جرحتِ نفسك يا ابنة المجنونة.

ابتسمت بهدوء، ونظرت إليه فى مكر، ثم قالت متسائلة:

_ ما هو الإسم الأول لأمى؟

نظر إليها مندهشاً، ثم عاد يعبث فى جمرات الفحم، كررت نفس السؤال مرة أخرى، فقال فى ضيق:

_ ماذا بكِ اليوم؟

مسرعة قالت:

_ أجبنى يا أبى.

صمت لحظة تأملها خلالها ثم قال:

_ لقد أخبرتك منذ زمن سابق إنه سناء.

_ وأين هى؟

كور يده بجانب رأسه وظل يديرها فى إشارة واضحة أكدها حين قال لها:

_ هل جننت اليوم!، هل نسيتِ انها ماتت منذ كنت طفلة؟

كانت عيناها مثبته تجاهه، وقد أعتلت ملامح وجهها الجميل علامات الحزن العميق، وترقرق الدمع داخل محجريها، بصوت متهدج قالت:

_ ارجوك يا أبى، أُقبل قدميك، اخبرنى من هى أمى؟، وأين هى الأن؟

ولم تستطع كبح جماح نفسها، بدأت الدموع تتساقط بـ غزارة فوق وجنتيها، تهرب من النظر إليها وظل يعبث فى شِيشَتُه، قال:

_ انا لا استطيع تفهمك اليوم.

بـ صوتاً مبحوح من أثر البكاء، قالت:

_ لقد رأيت امى اليوم.

بـ عينين جاحظتين_ألتفت إليها سريعاً_حين قالت ذلك، كان رد فعل تلقائى، لكنه عندما لاحظ ذلك، قام بالسيطرة على تحركاته، مسحت وفاء دموعها بأكمام جلبابها، ثم اتجهت تجاه باب الشقة بخطوات واثقة، فتحته ووقفت بجانبه، وبنبرة حازمة قالت:

_ إذن، أنصت إلى جيداً يا أبى، إذ لم تخبرنى بما اريد معرفته الأن، سوف اصرخ حالا واجمع الجيران، ومن بينهم زوج هذة الزانية الراقدة فى فراشى، ويمكنك محاولة إقناعهم بـ هذة القصة السخيفة الساذجة، التى قمت بسردها إلى، يمكنك الاختيار الأن_ايهما تفضل؟

كسا وجهه الاحمرار وانتفخت عروقه، ثم ركل النارجيلة فـ سقطت أرضاً وتحطمت هذة المرة، ثم نظر إليها فى استسلام، وبنبرة منكسرة قال:

_ إذن، اغلقى هذا الباب اللعين، حتى لا يستمع أحد إلى ما سأقوله.

ابتسمت فى إنتصار، وأغلقت الباب وبدأت تنصت له.....

.....

شرع ابراهيم الراوى فى قراءة الملف المستلم، وكان يهز رأسه فى أسى أثناء ذلك

اسمى (حياة)، وكما يقول البعض_أن للمرء نصيباً من اسمه، لقد كنت مثل الحياة تماماً، الجميع مفتونين بها، ويركضون خلفها ويتمنون رضاها، لكنها لا تعطى سوى من يعطيها ظهره ويتجاهلها، وهم نادرون_نادرون جدا، منذ وعيت على الدنيا و الجميع يصفونى بالحسناء، أسرتى_اقاربى_جيرانى_اصدقائى_ومعلمينى فى المدرسة_الخ، فى البداية لم اكن اعلم ذلك، لكن مع تكرار الأمر، بدأت اهتم واقف أمام مرآتى طويلاً، أتأمل فى ملامحى الدقيقة التى تمثل لوحة ربانية_تدل على إبداع الخالق، عيناي المتسعتان الزرقاوتان، حاجبى اللذان يمثلان خطين رفعين متعرجين، اهدابى الطويلة، انفى الصغير، شفتاي المنتفختين ذات اللون الوردى المثير، بشرتى البيضاء، وجنتى المكسوتان باللون الاحمر، دون أى ادوات تجميل، خصلات شعرى الذهبى الناعم، الذى ينساب فوق ظهرى_حتى نهاية عمودى الفقرى، وقد أدركت كم انا جميلة حقا إلى حد الفتنة، كنت وقتها فى الرابعة عشر من العمر، ولم يمر على اكتشافى لـ ذاتى بضع أيام، وزارنى ملاك خفى اخبرنى أننى أصبحت (آنسة)، وقد صيرت أرضاً خصبة مهيأة للزراعة وجزء لا يتجزأ من الطبيعة، وبدأت أتفهم نظرات الإعجاب الموجهه إلى فى كل مكان، من قبل الذكور، وعلى النقيض كانت تلاحقنى نظرات الغيرة والحقد

والحسد من قبل الإناث، وقد تقدم الى خطبتى أعداد لا حصر لها، وكانت الأعمار متفاوته إلى حد ملحوظ، الجميع يرغب فى الظفر بـ حياة، لكنى كنت دائمة الرفض، لأنى بمنتهى البساطة اعرف الدافع وراء ذلك، هم يريدون فقط امتلاك الجمال الذى سحرهم وجذبهم الى، ولا شئ اخر سواه، مما جعلنى أشعر بأنني مجرد دمية لا روح فيها، لقد صارت كلمات الغزل تدريجياً بلا اثر حقيقى على نفسى، غاية الألم أن تكونى انثى يرغبها الجميع، يا لها من معاناة تستحق العطف، لقد وصل بى الأمر إلى حسد الفتيات اللاتى لا يملكن الجمال الخارجى، لأنهن حين يقبل أحدهم على التقرب أو الزواج منهن، يكن فقط من أجل شخصيتهن أو اخلاقهن، وهى أشياء اجتدهت الفتاة فى صنعها بكامل إرادتها، فـ حين يريدها أحدهم فهو يريدها لـ ذاتها لأنها هى لا شئ اخر، ظللت على هذا المنوال سنوات عديدة، القريب والغريب يتقدم لـ خطبتى، منهم شباب فى مثل عمرى، ورجال من عمر الثلاثون عاما حتى أصحاب العقد الرابع والخامس من العمر، والنسبة الأكبر منهم أصحاب أملاك وسُلطة ومال وفير، وكان الضغط النفسى من اسرتى كبير جداً، خاصة أننا من الطبقة الوسطى إذا جاز التعبير، لم يستطيع أحد من المحيطين بى، أن يتفهم رغبتى فى الحصول على الشخص الصحيح، فقط اريد انسان يرغب في من دون أن ينتبه إلى جمالى، لقد تمنيت فى لحظة ما لو كنت خلقت قبيحة الشكل، ربما كان الحال سيكون أفضل مما انا عليه، كنت أشفق دوما على الفتيات والنساء، اللاتى كنت أرى فى عيونهم الحزن حين رؤيتى، كنت اعلم كم يتمنين لو كن فى مكانِ، كم هو أمر حزين أن يحسدك الناس على شئ لا ترغب انت فى امتلاكه، لا اجرؤ على القول بانى كنت محقة، لا لقد كنت حمقاء ساخطة على نعمة يتمناه الجميع؛ وصلت إلى المرحلة الثانوية، وكنت قد تعرضت لـ محاولات تحرش كثيرة، منها اللفظى والجسدى والنظرى، حتى أمنت أن الرجل حيوان شهوانى مخيف، يا له من احمق، وعندما تخطيت العامين الاول والثانى الثانوى، ووصلت أخيراً إلى الصف الثالث، وكان ذلك العام هو بمثابة نقطة تحول كبيرة فى حياتى، حدث ذلك عندما قابلته، وكان اول شخص التقى به لا يهتم بـ جمالى، لم يفتن او يسحر بى، أو يتودد إلى مثل الباقين، بل عاملنى بـ منتهى الجفاء والتجاهل، لذلك كان مميزاً فى نظرى، كان يعمل فى المكتبة المجاورة للمدرسة، ذات يوم ذهبت إلى هناك لأقوم بتصوير بعض المستندات، نظر إلى دون أن يأبه بشئ، ولم تتخطى نظرته الثانية الواحدة، اخذ الاوراق قام بنسخها، أعادها إلى وأخذ المال، ثم اعطانى ظهره وذهب إلى الداخل يكمل ما كان يفعله، كنت اتابع ذلك بـ دهشة حقيقية، وشعرت برغبة شديدة فى التعرف عليه، لم يكن وسيماً، ولا ذو مظهر جذاب، مجرد رجل ثلاثينى ناضج، نحيف، اسمر البشرة، قصير الشعر والقامة، ذو لحية نامية بعض الشئ، لديه عينين بنيتين ضيقتان، وأنف معكوف، نحت هذا الموقف فى ذاكرتى، وظللت افكر فيه طوال اليوم، حتى أننى سألت إحدى صديقاتي، وكانت تدعى عزيزة، فتاة غريبة الأطوار، حين تتحدث إليها يجعلك أسلوبها تظن، أنك تتجاذب أطراف الحديث مع امرأة ناضجة، يقولون ان ذلك يعود إلى نشأتها وسط خمسة أشقاء ذكور، انتحيت بها جانباً وتسائلت:

_ ما الذى يجعل الرجل يتجاهل امرأة حسناء؟

رمقتنى بنظرة شك، وهى تمصمص شفتيها، ثم ارتفع حاجبها الأيمن وهى تقول:

_ شئ من ثلاثة، أما أنه شاذ جنسياً، أو مختل عقلياً، أو.....

ثم توقفت فجأة وبصقت (العلكه) التى كانت تلوكها، انعقد حاجبى مندهشة، وتسائلت فى لهفة، قلت:

_ أو ماذا ؟

_ أن يكون مطرود حديثاً، من علاقة حب فاشلة.

وهكذا بدأت أتردد على المكتبة من حين إلى آخر، مر اسبوع ولم يتغير أسلوبه تجاهى، حتى اقتحمته أنا، كان يناولنى بعض الأوراق، أمسكت يده وضغطت عليها، نظر إلى طويلا هذة المرة، ثم سحب أصابعه بهدوء، ولم ينبس ببنت شفة، فى اليوم التالى ذهبت بحجة شراء قلم، ما فعله كان مفاجأة كبيرة لى، لقد قبض على يدى بـ لطف، ثم نظر إلى عينى مباشرة، و سألنى:

_ ماذا تريدين بالضبط؟

توترت فوراً ولم أجيب، فقط أبتسمت

_ أسمى كريم، إذا كان يهمك معرفة ذلك.

ترددت قليلا قبل أن أقول:

_ حياة.

وبدأت علاقتنا منذ ذلك الوقت، كان دوماً يخبرنى أن جمالى لا يهمه فى شئ، بل أن جمال روحى هو الأهم والأبقى، وذلك ما جعلنى اتيم به حباً، بدأ الأمر بـ قبلة ساخنة داخل المكتبة، وتدريجياً حدث ما كان لا يجب أن يحدث، كل ذلك حدث فى خلال ثلاثة أشهر فقط، طلبت منه أن يتقدم للزواج منى، اخبرنى أنه غير مؤهل للزواج فى الوقت الحالى، لأنه لا يملك شيئاً على الاطلاق، وفى يوما ما فقدت الوعى وهويت على الأرض، وكنت فى صحبته لـ حسن الحظ، وعلمنا أن هناك شئ مشترك يتكون داخل احشائى، جلسنا نفكر ونفكر حتى توصلت إلى حل، وهو أن نترك القاهرة ونذهب لـ نتزوج ونعيش فى مدينة الإسكندرية، وان الذهب الذى ارتديه سوف يسد حاجتنا حتى أضع وليدى، وبعدها يعمل كلا منا ونساعد بعضنا البعض، وهذا ما حدث بالفعل، قضينا الوقت فى المتعة واللهو بلا عمل، حتى موعد الوضع دخلت المشفى بصحبته، وخرجت وحدى احمل طفلتى البائسة، وافكر كيف سأنفق عليها، لأنه ببساطة اختفى بلا اثر، بعدما نفذت اموالى، لقد كان الشخص الخطأ فى الوقت الصحيح، الذى أفسدته انا بغبائى، استأنفت حياتى فى نفس المنزل، وبعد رحلة بحث طويلة، عثرت على مهنة وصيفة اطفال فى إحدى الحضانات، ولن اصف مشاعرى بالصدمة والخذلان، لأنها غير قابلة للوصف، يمكنك أن تتخيلها إن استطعت، نحن حمقى حين نلوم الآخرين_لأن أنفسنا اولى باللوم_لأنها هى من سمحت لهم بذلك_ عندما اعطتهم ثقة لا يستحقونها، مرت ثلاثة اعوام كامله كبرت خلالهم وفاء ابنتى، كانت هى الشئ الوحيد الذى يجعلنى استيقظ فى كل صباح، وذات يوم تركتها أمام التلفاز ودخلت للإستحمام، وحين خرجت لم أجدها، بحثت فى كل مكان فى الشقة، لكن بلا جدوى لم اجد لها أثر، كنت منهاره وظللت أصرخ حتى تجمع الجيران، وبما أن الباب كان مغلقاً، قفزت إلى عقلى خاطرة مهمة، وبالفعل ركضت إلى الاسفل، وراجعت كاميرات المراقبة الخاصة بالمتجر_الذى يقع أسفل المنزل، وتاكدت أنه هو من فعل ذلك، عدت إلى القاهرة للبحث عنه فى كل مكان، ولم أعثر عليه أبداً، وكان حزنى على ابنتى هو الهزيمة الأكثر مرارا فى حياتى، وبالطبع لم اتمكن من العودة إلى اهلى، بعدما افسدت سمعتهم بـ هروبى، لم اكن اعلم إلى أين يمكننى الذهاب هذة المرة، قمت بالسكن فى إحدى اللوكاندات الشعبية، وبدأت ابحث عن عمل من جديد، حتى رأيت إعلان للعمل فى شرم الشيخ، وذهبت بالفعل إلى هناك، عملت مضيفة فى إحدى المطاعم، وكانت اهم ميزات هذة الوظيفة، هى السكن المجانى للعاملين، وهناك حدثت صداقة قوية بينى وبين شابا يدعى سمير، كان يعمل (بارمان) يقدم الخمور للعملاء، ذات يوم كنت فى أقصى حالات الحزن، وقتها عرض علىا أن اجرب تناول الكحول، حتى يتحسن مزاجى المتعكر كما وصفه، فكرت قليلاً ثم سألته:"لماذا يتجرع الناس الخمر؟"، أجاب:"لأنهم يرغبون فى تناسى أشياء لا يروق لهم تذكرها"، وبدأت تناول الكحول منذ هذة اللحظة، صحيح أننى شعرت بدوار شديد فى رأسى، وانتابتنى حالة من الغثيان أفرغت على إثرها ما فى معدتى، لكن فيما بعد لم تحدث هذة الاشياء مرة اخرى، وأصبح الكحول هو الشئ الوحيد الذى ألجأ إليه، حين تجتمع الذكريات والآلام ليقوموا بتمزيق روحى، ولم يكن سمير بالنسبة لى إلا مجرد صديق، لكنه كان يرغب في من الوهلة الأولى، لقد كنت اريد فقط من يستمع إلى ثرثرتى حين تعصف بى الآلام، إن حاجة المرء منا إلى العطف تفوق حاجته إلى الطعام، لقد طلب منى مرارا أن نقضى يوما معا، كنت أرفض بطريقة دبلوماسية ولطيفه، حتى جاء يوما كان الحزن قد خيم على روحى، وأصبحت الوحدة أكثر قسوة من ذى قبل، ورغبت فى أن ارتمى بين احضان أحداً يربت فوق ظهرى بـ حنان، وبالفعل اتفقنا و التقينا فى مكان بعيد عن العمل، يومها شربت كمية كبيرة جدا من الخمر، حتى فقدت عقلى تماما وحدث ما حدث، واستمرت علاقتنا لمدة عامين، حتى شعرت بالإشمئزاز من نفسى، وعلمت أنه الشخص الخطأ فى الوقت الخطأ أيضا، استيقظت باكراً فى أحد الأيام وقررت العودة إلى القاهرة مرة أخرى، وخلال ذلك التقيت بأفضل شخص قابلته فى حياتى، حين توقفت الحافلة خلال طريق العودة، أمام إحدى الاستراحات على الطريق، ابتعت كوبا من القهوة، وعندما حملته واستدرت اصطدمت به وسقطت فوق بذلته، اعتذرت له لكنه لم يغضب قط، لقد واجهنى بإبتسامة حانية، كان رجل فى أواخر العقد الرابع من العمر، اسمرالبشرة، وكان يرتدى نظارة شمسية سوداء، وفى يده عصا، صعقت عندما اخبرنى أنه كفيف، أمسكت يده وبدأت اقوده نحو المكان المخصص للجلوس، واصررت أن يخلع جاكت بذلته لكى انظفه له، وبعد حديث طويل دار بيننا، قال:"القاهرة كبيرة جداً، إلى اين انتِ ذاهبه بالضبط؟"، اجبت:"لا اعرف صراحة"، ابتسم واخبرنى أنه لا داعى لأن استقل الحافلة مرة أخرى، وان اعود معه فى سيارته، وأنه سيعطينى عملا وسكن لديه، وتفاجئت بـ سيارته الفارهة كما تفاجئ بى السائق تماماً، وبدأت مرحلة أخرى فى حياتى، مع هذا الرجل العظيم وهذا اقل ما يمكن قوله على رجل مثله، علمت فيما بعد أن زوجته وابنته وافتهم المنية على إثر حادث سيارة، وأنه رجل ثرى جداً، عشت معه داخل قصره ومع مرور الوقت أصبحت اهم شئ فى حياته، لم اتردد فى إخباره بكل ما حدث معى، وكان حكيماً متفهماً إلى حد كبير، وتحولت حياتى تماماً منذ دخلها هذا الرجل، لقد منحنى الحب الصادق الذى تمنيته منذ كنت فتاة مراهقة، لقد احبنى فقط لاننى انا، وتقبلنى بكل مساوئى، ودون أن يكن جمالى هو الحافز لذلك، لأنه ببساطة رجل كفيف، لكنه بصير القلب، وبعد مرور عاماً طلب الزواج منى، وافقت بلا تفكير، لانه الرجل الوحيد الذى اعطانى الكثير دون مقابل، قضينا خمسة سنوات معاً ثم توفى، وعلى الرغم من أننى لم استطيع ان ابادله نفس الشعور، لكنى أحببته من كل قلبى كـ أب، لقد كان الشخص الصحيح فى الوقت الخطأ، كان موته سكيناً اخر مزق الباقى من روحى، واطفأ الجزء الصغير الذى استطاع أن يضيئه

فى داخلى، وعدت إلى العزلة والكحول مرة أخرى، وكنت اتناوله بشراهة تفوق ما سبق بمراحل، ولم يعد الكحول قادراً على تسكين ألامى، حتى زبلت من الوحدة والحزن والخمر، وضاقت على روحى حتى قمت بحلاقة شعر رأسى تماماً، وبدأت أفكر فى طريقة ما لـ وقف هذا الألم النفسى المميت، حتى توصلت إلى القفز من فوق برج القاهرة، لا أعلم سبب اختيارى لهذة الميتة بالذات، ربما لاننى تمنيت كثيرا أن أكون طائراً، لأحلق فى السماء بـ حرية بعيداً عن هؤلاء البشر، اعلم انها طريقة بشعه للهروب ولا اتمنى أن يقوم بها أحد، لكننى صرت أكثر هشاشة من ذى قبل، ولا استطيع تحمل المزيد، ارجوك صلى من اجلى وادع لى أن يرحمنى الله ويغفر لى فعلتى.

قارئتك المخلصة

.....

كانت وفاء غارقه وسط بركة من الدموع، وهى تصرخ فى وجه ابيها، قائلة:

_ انت لست بشر، لقد دمرتنى انا وأمى، وفى النهاية تسببت فى موتها، لقد قتلتها بدماء باردة، دون أن تشعر بـ ذرة ندم.

كان الرجل يشاهد الفيديو وهو يبكى بغزارة، وربما للمرة الأولى فى حياته، يشعر بما شعر به، لكنها كانت تراه مسخاً دميماً، قفزت من مكانها سريعاً واخذت الهاتف من يده بقوة، ثم حملة حقيبتة يدها، وقبل أن تغادر قالت:

_ فلتذهب إلى الجحيم، ايها القاسى، ذو القلب الأعمى.

ورحلت فوراً دون أن تلتفت إلى ندائه

.....

أنهى ابراهيم الراوى قراءة الرسالة، واجهش فى بكاء شديد، وحين هدأ قليلا واستطاع أن يتمالك نفسه، امسك هاتفه وقام بتفحص بعض المقالات التى تتحدث عن حادثة الانتحار، وبعدما تأكد أنها هى فعلاً، أجرى مكالمة سريعة إلى أحدهم

_ سيادة اللواء/عمرو النمكى معى.

_اهلا بحضرتك.

_ لى طلباً بسيط عند سيادتك.

_ الأمر يتعلق بـ تلك المرأة التى ألقت بنفسها صباح اليوم من فوق برج القاهرة.

_ ماذا؟

_ هل حضرتك متأكد من ذلك!

_ إذن، اعطنى العنوان من فضلك.

.....

كان ابراهيم الراوى يقود سيارته متجها إلى القاهرة، وخلال ذلك_قام بالبحث عن اخر الاخبار المتداولة على مواقع التواصل الاجتماعى، الخاصة بحادثة حياة بالطبع، وبما أن فيديو الحادثة أمتطى الترينذ وأصبح الموضوع الرائج على جميع المواقع، وصار حديث الساعة بلا منازع، والشغل الشاغل للرأى العام، كان يعلم أن المسؤولين يجب أن يدلوا بتصريحات لتوضيح الأمر وتهدئة الوضع، لكنه لم يجد اى شئ من هذا، أغلق الاتصال بالإنترنت وقام بتشغيل إذاعة الراديو، وبالفعل بعد قليل سمع أحد المسؤولين، يصرح بأن المرأة التى حاولت الانتحار فى صباح اليوم، قد تم إنقاذها فى آخر لحظة، وبعد الكشف عليها تبين انها مصابه بأحد الأمراض النفسية، وقد تم التحفظ عليها وإخضاعها للعلاج داخل إحدى المصحات النفسية التابعة للدولة، هنا تأكد ابراهيم من صحة المعلومات التى أخبره بها صديقه اللواء، حين وصل إلى المشفى توقف أمام البوابة الحديدية ، وشرد للحظة وهو ينظر إلى اليافطة المعلقة، التى كتب عليها "مستشفى العباسية للأمراض النفسية"، نظر إلى ساعة يده وجدها تشير إلى الواحدة صباحاً، ترجل من السيارة وتقدم نحو رجل الأمن الذى سأله بحزم:

_ ماذا تريد يا حضرت.

_ انا هنا من أجل المرأة التى حاولت الانتحار صباحاً من فوق برج القاهرة.

قال، رفع الرجل حاجبيه وقال:

_ هل انت مختل عقلياً!، اذهب الى حيث جئت، وإلا.

ثم أشار إليه بالسبابة والوسطى وكان يقبع من بينهم لفافة تبغ مشتعلة

_ سأقوم بحجزك وسط المختلين عقلياً بالداخل.

ابتسم ابراهيم بجانب فمه ساخراً، وقال:

_ حسناً، لحظة واحدة.

ثم أخرج هاتفه وقام بطلب رقم ما

_ اسف جداً سيادتك، على الاتصال فى وقت مثل هذا، لكنى هنا أمام المشفى، ورجل الأمن يظن أننى مختل.

ثم بسط يده بالهاتف تجاه الرجل، الذى ينظر إليه بتوجس، ثم قال:

_ الباشا يريد التحدث إليك.

تناول منه الهاتف، بوجه متجهم بعدما رمقه بنظرة شك، الصق الهاتف بجانب أذنه، وقال:

_ من يتحدث.

ولم يلبث حتى انتفض جسده

_ تحت أمر سيادتك، يا حضرت اللواء.

أنهى المكالمة واعاد الهاتف إلى إبراهيم بيد مهزوزه، ثم نظر إليه بإحترام مبالغ فيه، وبسط زراعه تجاه الباب الصغير، وقال:

_ تفضل يا باشا.

.....

قضى ابراهيم الراوى ليلته داخل مكتب أحد الأطباء، بعدما اطمئن على حالتها، وعلم انها غارقة فى ثبات عميق، من أثر العقاقير المهدئة التى قاموا بحقنها إياها، وأخبره الطبيب النوبتجى أنها سوف تستيقظ فى الصباح،

ظل طوال الليل ساهراً، يزرع الارض ذهاباً وجيئة، وهو يدخن عبر غليونه بشراهة واضحة، وفى صباح اليوم التالى، جاء إليه رجل الأمن وأخبره أن هناك فتاة بالخارج، تدعى انها نجلة المرأة المريضة، نظر إلى ساعة الحائط دائرية الشكل المتسخة قليلا، كانت تشير إلى الثامنة، أمره أن يحضرها إليه فوراً، وعندما حضرت نظر إليها فى حزن وحوقل فى سره، وتجاذب معها أطراف الحديث، ثم ربت على كتفها مواسياً، وقال:

_ لا تقلقِ يا عزيزتى، إنها بخير، وسوف تسعد كثيراً برؤيتك.

وحين سألته عن هويته، تردد قليلاً ثم أجاب:

_ انا ووالدتك اصدقاء منذ وقت بعيد.

هنا جاء إليه الطبيب وأخبره انها استيقظت، ركضا إلى غرفتها، ثم توقف فجأة على مقربة من باب الغرفة، مبتسماً قال:

_ من فضلك، اسمحِ لى ان انفرد بها لـ بضع دقائق، بلا ريب انا أقدر مشاعرك جيداً، لكن طلبى هذا من أجلها، ثقِ بى.

اومأت برأسها موافقة، ابتسم لها ثم دولف إلى الداخل بهدوء، انعقد حاجبى حياة عند رؤيته، وكان وجهها شاحباً، وبصوت مرهق قالت:

_ اين أنا؟

جلس على طرف الفراش وهو يبتسم لها، وقال:

_ مازالت الحياة تتمسك بكِ يا حياة، برغم محاولتك للتخلى عنها.

فركت عيناها ثم نظرت إليه فى ذهول، وهى تقول:

_ هل انت حقاً تجلس أمامى الأن؟

ابتسم، واومأ برأسه إيجاباً، صمتت لحظة ثم بكت، ربت على يدها بـ لطف، وقال:

_ غير مسموح لكِ أن تحزنى بعد اليوم، هل تذكرى ما قلتيه فى رسالتك، لقد قلتِ إنك قابلتِ الشخص الخطأ فى الوقت الصحيح، والشخص الخطأ فى الوقت الخطأ أيضاً، والشخص الصحيح فى الوقت الخطأ، أليس كذلك؟

هزت راسها أن نعم، وأبتسمت ودموعها تنساب فوق وجنتها، فأضاف:

_ اليوم ستلتقين بالشخص الصحيح فى الوقت الصحيح.

قالت:

_ إنه انت بالطبع.

هز رأسه نافياً، ثم قال:

_ لا، إنه شخص سوف يجعلك تتمنى أن تعمرى ثلاثمائة عام أخرى.

قضبت جبينها فى عدم فهم

_ لحظة واحدة.

قالها ثم غاب لحظة، وعاد بصحبة وفاء، أشار إليها وهو يقول:

_ إنها وفاء ابنتك.

ظلت تنظر إليها غير مصدقه، ثم انهارت فى بكاء هيستيرى، ارتمت الفتاة بين أحضانها، وهى تبكى بكاءاً شديداً، وتبادلن مئات القبلات خلال عناق طويل، خلع إبراهيم عويناته لـ يجفف دموعه التى انسابت رغماً عنه، وبعد مرور بعض الوقت، أخبرها أنه يجب أن يغادر الأن، وترك لها كارت به عنوانه ورقم هاتفه، وقال:

_ سوف اتركك الأن، لكننا سوف نتحدث كثيراً فيما بعد.

ثم صافحها مودعاً، فـ حاولت تقبيل يده، لكنه سحبها فوراً، فـ أشارت له أن يقترب، وعندما فعل همست فى أذنه بشئ ما، ابتسم وقال:

_ أتفهم ذلك جيداً.

ثم دنا من وفاء وقال:

_ اسمحِ لى يا عزيزتى.

ثم طبع قبلة فوق جبينها، وربت على كتفها بـ حنان، وغادر بهدوء وهو مبتسم فى رضا

(تمت بحمد الله)